الى ملاذ الدنيا المباحة لوجيه الا البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى الصبر
على العافية اشد من الصبر على البلاء ولما فتحت اموال الدنيا على الصحابة رضى الله تعالى
عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك
حذرنا الله تعالى عباده عن فتنة المال والاهل والاولاد قال الله تعالى لا تلهكم اموالكم
ولا اولادكم عن ذكر الله وقال من ازواجكم واولادكم عدو لكم فاحذروهم واما الصبر
فى الفقر فظاهر واما فى المعاصى فما احوج العبد الى الصبر عنها خصوصا الصبر عن المعاصى
اللسان من الغيبة والمراء والثناء على النفس تصريحا وتعريضا وانواع المزح المؤذى
للقلوب وغير ذلك من الكلمات الردية ومن اشد الصبر الصبر على اذاء الناس فى ذلك
بترك المكافاة والحاصل ان العبد يحتاج الى الصبر فى جميع الاحوال فى حال الفقر والغناء والصحة
والمرض والطاعة والمعصية والضراء والسراء ولذلك قال الله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وورد فى الخبر من لم يصبر على بلاء فى ولم يشكر لنعمائى ولم يرض بقضائى
فليطلب ربا سوائى وبالجملة السعادة العظمى فى الصبر والهلاك والبوار والخسارة فى تركه
والصبر اما بدنى بالفعل كالطاعات او بالاحتمال اى احتمال الاذى واما نفسى فان كان عن
شهوة البطن والفرج فهو العفة او كان فى مصيبة فيقتصر على اسم الصبر وضده الجزع والهلع
او فى الغنى فهو ضبط النفس وضده البطر وفى المقابلة فهو شجاعة وضده الجبن او كظم الغيظ
فهو الحلم وضده التذمر او فى نائبة مضجرة فهو سعة الصدر وضده الضجر والتبرم وضيق الصدر
او فى اخفاء كلام فهو كتمان السر او عن فضول العيش فهو الزهد وضده الحرص او على يسير من الحظوظ
فهو القناعة وضدها الشرة فاكثر اخلاق الايمان فى الصبر فلذلك قال عم لما سئل عن الايمان
فى الخبر قال هو الصبر او معظمه كما ان الحج عرفة والحاصل المراد من الصبر ترك العمل بمقتضى
النفس المعصمة الله تعالى

فصل فى التوكل

واعلم ان التوكل من منازل الدين بل هو معالى
درجات المقربين وهو فى نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل وربما يغمض
من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها طعن فى التوحيد والتباعد عنها بالكلية
طعن فى السنة وقدح فى الشرع والاعتماد على الاسباب مع تجويز ان يرى اسبابا تغير فى وجه العقل

وانخناس فى غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه موافقة مقتضى التوحيد والعقل والشرع
فى غاية الغموض والعسر لا يقوى على كشفه الا سمادة العلماء الذين اكملهم الله تعالى
بانوار الحقايق وقد اكثر الله تعالى ذكر التوكل فى القرآن العظيم وقد ورد ايضا احاديث كثيرة من
فضل التوكل قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال ان الله يحب المتوكلين وقال
ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال وعلى الله فليتوكل المؤمنون والمتوكلون وغير ذلك من الايات
وقد اختلفوا فى حقيقة التوكل اعلم ان التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اى
فوضه اليه واعتمد عليه فيه ويسمى الموكل اليه وكيلا ومتوكلا عليه مهما علم انه يفوضه
ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد
القلب على الوكيل وحده وهذا انما يتم باعتقاد منتهى الهداية والقدرة والفصاحة والشفقة
فى الوكيل فان لم يجد هذه الحالة من نفسك فانما من ضعف اليقين بها او من مرض القلب باستيلاء
الجبن بالاوهام فاذا اثبت فى نفسك بكشف او باعتقاد جازم فانه فاعل الا الله تعالى
واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العبد ثم تمام العطف والعناية والرحمة
بجملة العباد وبالاحاد وانه ليس وراء منتهى قدرة قادر ولا وراء منتهى علمه علم ولا
منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة تكلى لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت
الى يمين بوجه من الوجوه والى نفسك وحولك وقوتك فان لم تجد هذه الحالة من نفسك
فاعلم انك اما ضعيف اليقين باحد الاربع الخصال المذكورة واما ضعف القلب ومرضه
باستيلاء الجبن عليه بسبب الاوهام وايحاء الشيطان وتخويفه وههنا ثلث مراتب
احديها ما ذكرناه وهو الثقة بالوكيل والثانية تضاهى ثقة الصبى بامه فانه لا يعرف
غيرها ولا يفزع الى سواها ولا يعتمد الا اليها للثقة بشفقتها ولكنه فى توكله فى توكله فان عن توكله
لان الصبى لا يعرف التوكل والثالثة ان يكون بين يدى الله تعالى كالميت بين يدى الغاسل
لا كالمغمى فانه يرغو يصيح بامه ويتعلق بريطها بل مثال هذا مثال الصبى عم انه وان لم يرغو
بامه فالام تطليه وان لم يتعلق بريطها والام تحمله وهذا المقام فى التوكل يبحث ترك
الدعاء والتسوال منه ثقة بكرمه وعنايته وشفقته ودوامه الثالثة كصفرة الوجه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)